الأدب والفن في أسبوع

محو الخلافات المذهبية توثيق لعرى الوحدة الإسلامية :

تألفت في مصر لجنة من كبار رجال الفكر وعلماء الفقه والمعنيين بالدراسات الإسلامية هدفها رفع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتمحيص المسائل التي هي مثار هذه الخلافات في ضوء البحث الحر والتغاضي عن النزعات التي تدعو إلى التعصب في الفروع والمسائل الشكلية .

وهذا في الواقع عمل جليل ، فإن هذه الخلافات التافهة كانت شر ما منيت به الوحدة الإسلامية ، وكانت عامل التفرقة بين صفوف المسلمين ، حتى شتتت شملهم وصدعت بنيانهم الأصيل ، فلم يقو على رد المستعمر الدخيل .

لم تكن هذه الخلافات في شيء من أصول الدين الواضحة ، ولكنها كانت من صنع السياسة وأصحاب الأغراض والمآرب في الملك والحكم يوم كان الدين هو الأساس في الملك والحكم ، فأخذ هؤلاء يؤلفون العصبيات ويخلقون الجماعات ، بما يختلقون من الأخبار والآثار ، وبما يعملون في إثارة النفوس وتأريث العداوات ، وزاد في البلاء بهذا صنيع الجهلة من الفقهاء الذين كانوا يستجيبون لأهل السلطان وطلاب الحكم بما يقوى نعراتهم ويتمشى مع أهوائهم . ومن العجيب أن الأيام تطورت ، والأحداث تواترت ، وفتح على المسلمين من أبواب البلاء والعناء ما بصرهم بعاقبة الوبال في تلك الخلافات التي فرقت الصفوف ، وباعدت بين القلوب ، ولكنهم لم يتبصروا لحالهم ، ولم يدبروا لشأنهم ، ولم يسارعوا إلى إنقاذ أنفسهم من أنفسهم ، حتى يمكنهم أن ينقذوا أنفسهم من غيرهم ! !

وكثيراً ما أشفق عقلاء المسلمين من هذه الحال الأليمة ، وكثيراً ما أهاب المصلحون والغُيُر على الإسلام والوحدة الإسلامية بالمسلمين أن يتلافوا تلك الصغائر ، وأن يوحدوا بين اتجاهاتهم في الرأي لتتم لهم الوحدة في الغاية والهدف بإزاء الاستعمار الأجنبي وتغلغل الدول الأوروبية في بلادهم ، وقد كان السيد

لا تغضُّ من القصيدة ومكانتها الأدبية .

أما « طاهر » فستوى الشاعرية في أسلوبه ، ولكنه في ثورته الفنية التي يستمدها من روحه الثائرة ، يبعد أحياناً عن الإجادة ، كما تراه في قوله :

الطريقَ الطريق : قافلةُ الشعر وركب الوزير والوزراء

وفي قوله يتحدث عن حلمهم برياض الفيوم :

طرق الشعر بابها ، فإذا شعر يقول : ادخلوا وطاب الثواء

وذلك سبيله في فنه ، ينوء حتى على سبل الفن الواضحة المألوفة.

و «العوضي» أظهر استواء في شاعريته لأن أسلوبه أسلوب مصنوع تأنق الشاعرُ في صوغه كما أراد ، وهو فيه هادىء واضح ، من حيث كان « طاهر » مفكراً ثائراً ، والغزالي فناناً شاعراً .

وفي قصيدة « طاهر » روح الحارث ومعلقته :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يُمَلُّ منه الثواء

بل هو يستعير بعض أبياتها :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

كما يستعير بعض ألفاظها وقوافيها ، ولكنه مع ذلك ذو شخصية قوية مستقلة في قصيدته .

والغزالي يشترك في بعض معانيه مع بعض الشعراء ؛ فبيته :

نسلتْ ريشه الليالي طوالا أترى تصبح الليالي قصارا ؟

شبيه بقول ابن أبي ربيعة في المعنى والوزن والقافية من قصيدة طويلة :

والليالي إذا نأيتِ طوالٌ وأراها إذا دنوتِ قصارا

ولكن قوله « نسلت ريشه الليالي » زيادة بليغة ليس لها نظير في بيت عمر .

أما العوضي فتكاد قصيدته تشبه قصيدة جرير — في الفن والروح :

ألا أيها الوادي الذي ضمَّ سيله إلينا نوى ظمياء حُييتَ واديا

إذا ما أراد الحي أن يتفرقوا وحنَّت جمال الحي حنَّت جماليا

وإن كانت تختلف عنها في كثير من الأوصاف الفنية .

هذا ما أردت أن أذكره من نقد أدبي لهذه القصائد الثلاث لشعراء لهم من بين شعرائنا الشبان مكانة ممتازة وجهد أدبي نرجو أن يعملوا له ليكون لذلك أثره في مستقبل القريض وبالله التوفيق.

محمد عبد المنعم خفاجي
أستاذ في الأدب والبلاغة

جمال الدين الأفغانى رضـوان الله عليه — وهو شريف النسب يمتد بنسبه كثيراً — أول من ندد بهذه الحال ، وسخر من المسلمين لأصرارهم عليها ، وهزىء بأولئك الذين يتخذونها مجالا للكلام ، ومن كلماته المأثورة فى ذلك : « لا يصح بحال أن يجسم أمر هذه الفروق فى الفروع ويجعلها واسطة للتفرقة وللنزاع فالخصام والاقتتال ، وإذا سلمنا أن وجود تلك الأمور التى مهد وجودها جهل الأمة وسفه الملوك الطامعين فى توسيع ممالكهم — كان مفيداً فى الزمن الماضى ، أو يرجى من ورائه إحقاق حق وإزهاق باطل ، فأن بقاء هذه النعرة إلى اليوم ليس فيه إلا محض الضرر ، وتفكيك عرى الوحدة الأسلامية ، وقد آن للمسلمين أن ينتبهوا من هذه الغفلة ، ومن هذا الموت قبل الموت .. » .

هذه الصيحة التى هتف بها السيد جمال الدين الأفغانى منذ أكثر من ستين عاماً كثيراً ما تداولتها الألسن ، وتناولتها الأقلام ، وهتف بها المشفقون على الوحدة الأسلامية والداعون لجمع كلمة المسلمين ، حتى اقتنع السواد الأعظم بضرورة تحقيقها ووجوب العمل على تنفيذها . وإنى لأذكر أنه لما عقد المؤتمر الأسلامى فى القدس عام ١٩٣١ تقدم فضيلة السيد آل كاشف الغطاء وأم وفود المسلمين للصلاة فى المسجد، فطرب المسلمون فى سائر أنحاء الأرض لهذا النبأ ورأوه بشير خير ، وتمنوا أن تكون هذه بداية للقضاء على الفروق المذهبية القائمة . وقد كان من الطبيعى أن يفزع الاستعماريون لهذا ، وأن يتساءلوا عن الخطوة التى تكون بعده ، ولذلك أخذت الصحف الأجنبية يومذاك تعلق على هذا النبأ بمختلف التأويلات ، والتهويلات ، وقالت إحداها وهى بسبيل تحذير الاستعمار الأوربى : يظهر أن المسلمين بدأوا يجمعون كلمتهم للقيام بحرب مقدسة ضد الغرب من أجل إبقاء فلسطين .

وفى مقام الأنصاف نذكر أن المغفور له الشيخ المراغى طالما ردد الدعوة إلى هـذا الغرض ، ونادى جهاراً للعمل على تلافى تلك الخلافات التى لامبرر لها ، والتى تؤدى إلى الأضرار بالمسلمين بقدر ما تفيد الاستعمار والمستعمرين .

ولعل القراء يذكرون أن « الرسالة » كثيراً ما أهابت بهذا فى كل فرصة سانحة ومناسبة داعية ، وكثيراً ما باركت أصوات الدعاة لهذا العمل ، والحداة للركب أن يسير ، ثم كثيراً ماتعجبت للمسلمين أن تظل بينهم هذه الخلافات قائمة وهم الذين يتوجهون جميعاً إلى قبلة واحدة ، ويأخذون بكتاب واحد هو القرآن ويسيرون بهدى نبى واحد هو محمد صلوات الله عليه ، فأذا ما تألفت اليوم لجنة من أكابر الفضلاء والعقلاء للعمل على محو هذه الخلافات وتمحيص الآراء فى دائرة الفكر الحر ، فأن مما يطرب الرسالة أن تبارك هذا العمل وأن ترجو التوفيق فيه ، كما يطربها ويسرها أن تسهم فى ذلك ، وأن تفسح فى صفحاتها لما يكون من تمحيص فكرة ، أو تصحيح رأى ، أو تحقيق مسألة ، أو إذاعة دعوة فى هذا السبيل .

كان . . . ثم انقضى !

إلى عهد أدركناه كان المولد النبوى الشريف موسماً للأدب والشعر والفن والغناء ، وكان فى هذا مجلى العبقريات الكبيرة ، والأصوات الرخيمة ، والمواكب الضخمة الحافلة بكل لون ، وكانت مصر تمضى على هذا ثمانية أيام ، وكأنها فى فرح شامل عام وكأن بالناس قد ابتدعوا بدعة الحلوى فى المولد النبوى حتى يتخففوا من الطعام الثقيل ليفرغوا إلى ما ينشدون فى مباهج المولد من متع الفن ومجاليه ...

كان المولد النبوى موسماً للسهرات العظيمة المتمة بقيمها الأثرياء والوجهاء من أرباب البيوتات الكبيرة العريقة، ويستقدمون لإحيائها عباقرة المغنين وأهل الفن من أمثال عبده الحمولى ويوسف المنيلاوى وأحمد ندا وعبد الحى ومحمد عثمان وغيرهم : ويفتحون أبوابها لرواد الحظوظ والسماع من سائر الطبقات ، ويمدون فى أسبابها إلى نفوس الفقراء بنحر الذبائح وإطعام الطعام ...

وكان المولد النبوى موسماً لأقامة الحضرات الشجية الفخمة ، يقيمها أبناء الطريق على شروطهم ، ويحييها كبار المنشدين على ذوقهم ، ويقبل عليها الناس من كل لون ، يستمعون لرائع التواشيح ورائق الفن . .

وكان المولد النبوى ذكرى تهز عواطف الشعراء ، وتملأ وجداناتهم ، وتسمو بنفوسهم وأرواحهم ، فتجيش شاعريتهم بأقوى القصيد وبارع النشيد ، ويهل « شوقى » على العالم

الإسلامى ليهز عواطفه بقوله : ولد الهدى فالكائنات ضياء . »

وأخيراً كان المولد النبوى صلة بين الحاكمين والمحكومين ، فكان الشعب والحكومة يلتقيان فى ساحه ، ويتقابلان فى أحيائه ، ويتقاربان فى ذلك على المحبة والألفة والتخلص من الأوضاع الرسمية والبرامج الأميرية ، ولهذا كان الشعب يشعر دائماً بأنه قريب من نفوس الحاكمين ...

كان هذا كله .. وكان المولد النبوى يأتى كل عام بجديد فى هذا كله أما اليوم فقد انقضى هذا كله ، وأصبح الشعب بسائر طوائفه وطبقاته لا يحس بهذا المولد إلا على وضع رسمى آلى ، فالموظف لا يعنيه منه إلا أنه يوم راحة من عناء الديوان ، والتاجر لا يحفل فيه إلا ببيع لعب الحلوى للأطفال ، وطوائف الشعب لا تستقبله إلا على أنه عادة خلفتها الأيام ، أما أبناء الذوات والبيوتات فلم يعد هذا الموسم منهم على بال ، وهيهات أن يبلغ فى تقديرهم مبلغ سهرة من سهرات (بديعة) . وأما أرباب الشعر والفن فأنهم يعتقدون أن المناسبة فيه مناسبة قديمة عتيقة . وهكذا مضى المولد النبوى هذا العام ، وكل ما بدا من مظاهره : حفلات أقامتها بعض الهيئات وكأنها الرسوم المخيلة ، وكلمات ألقاها بعض الوعاظ والخطباء وهى لا تعدو الألفاظ والتعابير التى تموت على الشفاه ... فما الذى عدا مما بدا ؟ أهى طبيعة العصر ووجهته ، أم ظروف العيش وقسوته ، أم هو صنيع الآلة بنا حتى أصبحنا لا نحس الحياة فى أجلى مظاهرها إلا على وضع آلى ؟!...

شاعر يتحدث عن الشعر :

ألقى الأستاذ عمر أبو ريشه الشاعر المعروف فى «النادى العربى» بدمشق حديثاً عن الشعر وما ينشد من المثل الأعلى فى الحياة قال فيه :

« .. كم شعرت برعشة وأنا أقرأ بعض الشعر ! وكم حاولت أن أتبين المواطن التى أثارت عندى هذه الرعشة فكنت أبوء بالخيبة »

« أنا فى كل يوم أحب وأكره ، وأومن وأكفر ، فلا أقيم على رأى ، ولا أستقر على اتجاه .. قرأت منذ أمد بعيد اللاحم فى الشعر ، فأسكرتنى روعتها ، وهزتنى حيويتها ، حتى إذا كدت أحسبها ما ينتهى إليه طموح شاعر ، سمعتنى أتمتم بينى وبين نفسى : ما لى ولهذا الشعر الذى ترضعه الخرافة ، ويربيه المجهول ، ليصبح نسيجاً للماضى السحيق الموهوم ؟ ومرت الأيام ، وإذا أنا فى إحدى العشيات ، وبعد أن شيعت صديقاً عزيزاً على إلى مقره الأخير أمد يدى إلى « الأيادة » مندفعاً برغبة ملحة إلى قراءة دموع « أخيل » على جثمان صديقه « بتروكلس » ، تلك الدموع التى قرأها قبلى الشاعر « بيرون » ، فشعرت بميل خفى نحو « هومير » ، فرجعت إليه وقرأته مرة ثانية فى نشوة وطرب وأصبحت أجد فى اللاحم متعة للنفس المثقلة بأسرار الحياة وبأعبائها ، فاذا كانت غاية الشعر كما تقول بعض الآراء أن يرفه عن النفس ، ويخرجها من أفقها الضيق ، وينسيها ما يحيط بها من متاعب الدنيا ولو إلى حين ، فلما ذا أربأ بالشعر أن يكون مشحوناً بالخرافات والأوهام ؟ » .

«وقد قرأت الشىء الكثير من القصائد والمقطوعات الشرقية والغربية حتى إذا ارتويت ، أو ظننت أنى ارتويت ، سمعتنى مرة أتمتم بينى وبين نفسى : ما لى ولهذا الشعر الذى يخنق الروح الحساسة المرهفة ، ثم ينشرها أشلاء مشوهة بألفاظه وتعابيره .. إن الحياة والطبيعة ينبوع الشعر ، وهو ما تعيه الروح قبل أن يعيه السمع والأدراك ، وليس إلى هذا الشعر الذى يروى ظمأ الروح من سبيل ؟.. » .

« إذن ما هو مثلى الأعلى فى الشعر ؟ أأريد من الشعر أن أشم فيه روائح الحياة ، وأسمع منه أنفاسها ، وأتذوق به نكهاتها ؟ أم أريد من الشعر أن يغيبنى فى هذه الحياة حتى لا أعود أشعر بكيانى الذاتى ؟ لا أدرى ماذا أريد !!.. » .

« إلى هذه الدرجة انتهى بى القنوط من فهم الشعر فهماً منطقياً ، فعجيب إذن أنى ما أزال أكتب الشعر ! وأعجب من هذا كله أننى أحدثكم هنا عن كيف أكتب الشعر ! والواقع أنى إذا تركت جانباً الموازين المنطقية التى تزن بها قيم الشعر ، والتى أراها لا تشفى غلة ولا تبلغ غاية لأن الأحساس بالجمال — كما أرى — مصدره العاطفة والذوق لا العقل والعلم ، أقول إنى إذا تركت تلك الموازين جانباً ، والتفت إلى الشعر الذى أكتبه ، وجدتنى فيه شاعر قصيدة لا شاعر بيت ومقطع ، والقصيدة عندى فكرة معينة ينطوى تحت أجنحتها الثلاثة : الخيال ، واللون ، والنغم »

هذا ما تحدث به الشاعر « عمر أبو ريشة » عن الشعر ، وإنه في حديثه لشاعر أيضاً يفهم الشعر بعاطفته وذوقه ، ويعترف بعجزه عن أن يجد في ذلك سبيلا للموازين المنطقية ، ومقتضيات العقل والعلم ، وهذه الحقيقة هي التي عناها رجل المنطق « سقراط » منذ آلاف السنين إذ قال : لقد وجدت جميع الناس يفهمون الشعر أكثر مما يفهمه الشعراء أنفسهم .. » .

والخلاف القائم بين الشعراء والنقاد يبتدىء من هنا ، فالشعراء يقولون إن الشعر مجرد عاطفة وذوق وينتهون عند هذا ، والنقاد يقولون إن الشعر منطق وفهم ويتشبثون بهذا ، وقد آن لنا أن نفهم أن الشعر هو الجانبان معاً . ويعجبني من الشاعر أبي ريشة أن يقول : « إن ينبوع الشعر هو الحياة والطبيعة » ، ثم ينتهي بعد ذلك إلى إنكار الموازين المنطقية في فهم الشعر ، وهل « الحياة والطبيعة » عاطفة وذوق فقط ، أو هما عقل ومنطق فقط ؟.. كلا ! ولكنهما كل ما في الإنسان ..

مات إلياس أبو شبكة :

هتف الناعي من بيروت منذ أيام بموت الأديب الشاعر إلياس أبو شبكه ، فعز نعيه على أصدقائه وعارفي فضله ، وهز فقده وجدان أبناء العروبة القادرين لفضله .

مات إلياس ابو شبكه وهو في عنفوان الحياة ، إذ كان في حدود الخامسة والأربعين ، وكان أوفى مايكون نشاطاً وإنتاجاً ، وكانت آثار قلمه البليغ ، وفنه الرفيع تتناثر على أبناء العروبة كأنها قطرات الطل على أوراق الزهر . وهكذا تحطمت « القيثارة » فجأة وهي لما تزل مشدودة الأوتار ، تردد أعذب الألحان وأطيب الأناشيد .

نشأ إلياس رحمة الله عليه فتى يتيما ، فقد فتكت يد أثيمة بوالده في مطارح الغربة بعيداً عن زوجه وصغاره ، فكانت فاجعة قاسية أفعمت نفس الفتى بالألم ، وأرهفت قلبه بالأسى والشجن ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى وآثارها في لبنان موطن الشاعر .. أرض لا يعمرها « إلا أشلاء الجائعين ، ونسمات لا تحمل إلا عبق البارود وأبخرة الدماء والدموع ، وأطيار ماتت في الحقول على الأغصان المتكسرة والأوراق اليابسة الصفراء ، وليس من حماة الحياة إلا أنين المتألمين وحشرجة البائسين » ، ومن هذا كله تغذت نفس إلياس ، وعلى هذا كله تفتحت شاعريته ، فنبت كالزنبقة البيضاء على قمم لبنان وفي أحضان أغواره يتموج بالنشيد ، ويهتف بالقصيد ..

وصف فقيد الأدب « فيلكس فارس » شاعريته وهي تتمثل للتمام عام ١٩٢٥ فقال : « لقد قرأت شعر إلياس أبي شبكة قبل أن أعرفه ، فجزعت نفسي عليه من نفسه .. سمعته ينطق بأرق مافي القلب من الحب ، وبأرق مافي الحب من الوحدة والأخلاص ، فقلت إنه قلب معد للسحق ، مهيأ لأن يذبح على مذبح غواية الغانيات في زمان وفي وطن تتمرد فيه المرأة على كل شيء لتمد عنقها صاغرة أمام آلهة التقليد والبذخ والمطامع .. » .

« ورأيته يترامى متهالكا على المناور المظلمة وقد رفع بيمناه قبس النور ، ونبضات قلبه تتدفق بآيات الحكمة من فمه ، فارتعشت نفسي أمام هذا الشاب المتلاعب بالحياة والموت ، وقلت إن مناور الظلمة ستبتلعه ، وإن قبس النور سيحرق يمناه .. » .

« وشاهدته يتهدد سلطات النفوذ والجهل والمال ، ويصرخ بالأمة داعياً إلى النهضة والحياة ، وسمعت في شعره أجمل ما يقول شاعر انتصرة الحق على الباطل ، فأمسكت على قلبي وسترت عيني بيدي حتى لا أرى ضحية جديدة وشهيداً جديداً .. » .

« ثم رأيت إلياس أبي شبكه بعد أن قرأته ، فماينت شعره فيه ، كما عاينته في شعره .. إن في افتانه لمعات ليست من هذه البلاد ولا من هذا الزمان ، لقد انتقم جسده من روحه قبل أن تنتقم السلطات منه ، ويبتسم الشعب المستعبد لأقواله .. » .

ذلك هو إلياس أبو شبكه الذي فقده الأدب والشعر ، وتلك هي شاعريته التي خسرها الفن والحق ، نمت واكتملت ، وظهر من آثارها الخالدة ما أكبره أبناء العروبة وقدروه حق قدره . على أنه إلى جانب الشعر كان كاتباً له أسلوبه الشرق ، وتعبيره المونق ، وفنه المتدفق ، فلا شك أن كان فقده نكبة للأدب وخسارة على العربية .

مبشر مخافي أم سياسي :

لقيني صديق كريم من أبناء سوريا فحدثني عما نشرته « الرسالة » عن رحلة الأديب الفرنسي الكبير الأستاذ جورج

ديهاميل إلى بلاد الشرق العربية قال : « لقد قرأت ما كتبتموه في عددين سابقين عن هذه الرحلة التي يقوم بها مسيو « جورج ديهاميل » الآن ، ووصوله إلى مصر لألقاء بعض الأحاديث والمحاضرات ، وقد أعجبني أن فطنتم للغرض من هذه الأحاديث والمحاضرات إذا قلتم أنه يقصد بهذا إلى الدعاية للثقافة الفرنسية ، وأحب أن أقول لحضرتكم ولقراء الرسالة الكرام ، إن ديهاميل قدم إلى أقطار الشرق العربي وفي برنامجه الرسمي الموضوع أن يرى بعينيه ما يريد العرب والمسلمون ، وأن يستمع بأذنيه إلى ما عندهم من الآراء فيما يقصدون ويهدفون ، وعليه في ضوء ما يرى وما يسمع ، أن يذكر بما أدته الحضارة الغربية عامة ، والفرنسية خاصة إلى العرب والمسلمين وإلى التراث الأسلامي ، وأن يوجه أنظار الذين يقابلهم ويتحدث إليهم إلى أن مطامعهم لا يمكن أن تتحقق إلا بتمام الاتفاق والحرص على الاتصال بالحضارة الغربية ، أو بمعنى أخص وأجلى بالحضارة الفرنسية .. فهو في الواقع مبشر سياسي يصبغ فكرته بصبغة الثقافة ، ولعل ديهاميل يقتنع في نهاية الأمر بأن الشرق قد أصبح على بينة من أمره ، وأنه صار يدرك تمام الأدراك أن نفوذ الثقافة لا حد له ، ولا وطن له ، ولكن نفوذ السياسة يجب أن يكون محدوداً بالحدود الطبيعية ، محصوراً بالدعائم القومية ، وعلى هذا الأساس الذي هو ضمان السلام في الأرض يريد الشرق أن يصفي حسابه مع الغرب » .

شيء مضحك ؟ ؟

نشرت إحدى الصحف اليومية برقية لمراسلها الخاص يقول فيها : « إن أنباء تونس تدل على أن في هذه البلاد نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة ، والعلوم بصفة عامة ، ومن الأدلة على ذلك أن مسرحية هامة بعنوان « هرون الرشيد » ستمثل قريباً برعاية جمعية النهضة التمثيلية ، وستتبعها رواية « فتح العرب لصقلية » بأشراف جمعية الاتحاد المسرحي ، كما مثلت رواية « مجنون ليلى » من قبل على مسرح المدينة الرئيسي ، ورواية « طارق بن زياد » ثلاث مرات » .

ثم تقول البرقية : « ومن النواحي الأخرى في هذه النهضة زيادة عدد الصحف اليومية والأسبوعية ، فقد ظهرت جريدة « المرآة » وهي وطنية ، ومجلة الشعب التونسي — وهي تنطق بلسان نقابات العمال » .

وأخيراً تقول هذه البرقية « وقد ساهمت المرأة التونسية في تثقيف بنات جنسها ، واشتركت كثيرات منهن في إلقاء المحاضرات ، ومنهن الآنسة — ليلى حلواني — التي تذيع رسائل بالراديو عن فائدة الرياضة للمرأة ، وتجمع الآن اكتتابات لإنشاء مدينة جامعية في ضواحي تونس على مثال مشروع المدينة الجامعية في مصر ، ومازالت التبرعات تتدفق على العاصمة لهذا الغرض ، وقد زادت حتى الآن على عدة ملايين من الفرنكات » .

قرأت هذه البرقية فضحكت ، وإنها لشيء يدعو إلى الضحك ، وإلى السخرية ، وإلى الإشفاق ! وهل ثمة أعجب وأغرب في هذا العصر من أن يعتبر تمثيل رواية ، أو إنشاء مجلة ، أو إذاعة آنسة لحديث دلائل « نهضة كبيرة في ميدان الأدب العربي بصفة خاصة والعلوم بصفة عامة » ! !

إن هذه الأمور التي تعددها البرقية وتشيد بها ليست إلا أمورا بدائية ينهض بها التلامذة في مدارسهم . ففي أي مدرسة ثانوية يمثلون الروايات ، ويصدرون المجلات ، ويذيعون المحاضرات والمناظرات ، فكأن هذه « النهضة الكبيرة » في تونس بعد هذا الدهر الطويل ليست إلا نهضة مدرسة ثانوية لا أكثر ولا أقل .

على أنك إذا علمت أن هذه البرقية إنما أذيعت من باريس ، وأنها دعاية استعمارية هدفها التمويه والتلبيس ، تبينت حقيقة الحال في ذلك القطر الشقيق ، وأدركت أن هذا الذي يمن به الفرنسيون في تلك البرقية قد كشف صنيعهم ، وأظهر للناس كيف أن الحياة الأدبية في قطر عربي عتيد لا تزال عند ذلك الوضع البدائي التافه الذي لا يعدو مشاهدة رواية تمثيلية ، وذلك كله بفضل الاستعمار الفرنسي العريق المتيد ! !

لقد آن لفرنسا أن تعلم أن كل هذا العناء في التمويه أصبح لا يجدي ولا يخفي حقيقة الحال في تونس ، فإن أبناء العرب في سائر الأقطار يدركون الحقيقة فيما تفرضه على الثقافة هناك من حجر ، وعلى حرية الرأي من حصر ، وعلى الإنتاج الفكري من رقابة أشبه بالرقابة العرفية ..

« الجاحظ »

فن وتجارة :

أرسل إلينا الأستاذ يوسف وهبي بك في آخر لحظة كلمة يرد بها على ما كتبه (الجاحظ) في العدد الماضي تحت هذا العنوان فأجلنا نشرها مضطرين إلى العدد القادم .